

السبت 17-01-2009

505- ... حتى لا تك... ون متواطئ!!

### تعتة

حوّل غضبك إلى مشروع

### قبل التعتة

مازلت أشك، من حيث المبدأ، في جدوى الكتابة في هذا الموضوع بوجه خاص، ومع ذلك جمعت ما كتبته في هذه النشرة اليومية منذ بداية الجولة الحالية في الكارثة المتجددة قبل ثلاثة أسابيع، فبلغ ما يناهز الأربعين صفحة، وشعرت أنني - هكذا - أناقض نفسي بشكل ما، قلت أوجز كل ذلك في ستمائة وخمسين كلمة، الحد الأقصى للدستور، فوجدت أن الإيجاز أكثر إفادة، فكتبت التعتة التي صدرت قبل أول أمس ونشرت في الدستور فعلا، وحين هممت بإعادة نشرها هنا اليوم كالعادة، كان قد وصلني بعض البريد ردا على ما سبق كتابته، وأيضاً، حاملا اقتراحات عملية تخفف من غيوم الحيرة، وتفتح الباب لأي إسهام مهما بلغ تواضعه، فقررت أن أجمع هذا كله في نشرة اليوم لعله يكمل بعضه بعضاً

وفيما يلي ترتيب هذه النشرة لعله يحقق هذا الغرض

**أولاً:** الموجز الذي نشر في تعتة الدستور بعنوان "متواطئون"، والذي وجدت أنه كان شديد التكثيف فجاءت رسائل الأصدقاء هنا الآن، بمثابة المذكرة التفسيرية له بشكل أو بآخر.

**ثانياً:** رسالة الصديق د. مدحت منصور، وهي تبين الجهاد الشخصي (ربما الأكبر) حين يوقظ الحدث الدامي بكل إرعابه وبشاعته، بوقظ فينا قرارات ذاتية أدعو الله أن تكون قابلة للتنفيذ طول الوقت طول العمر. قرارات تعلن التزامات ما، هي التي كنت أعنى أنها سوف تتكاثف وتترابط حتى يصبح التغيير القادم هو النتاج الطبيعي لها، ليس فقط تغيير الفرد الذي أعلنها، بل ربما تغيير العالم، وهذا ما كنت أعنيه بـ تنشيط الوحدات البشرية - الخلايا- كل واحدة في موقعها، وإزالة التلوث الذي لحقها بالكلام والكسل والخداع والكذب، و.....

**ثالثاً:** رسالة الصديقة د. أميمة رفعت، وهي على تواضع ما تقترحه من إسهامات، إلا أنها تبين كيف أن "أى شئ" مهما ضلَّ هو ممكن أن يبني في داخلنا وخارجنا ما ينفعنا وينفع الناس،

(وأنتهزها فرصة لأعتذر لها أن ما نشر أمس في بريد الجمعة باسمها تعليقا على المؤسسة الزوجية، كان مرسلا من الضيف الأول لهذه النشرة وهو د. مدحت منصور، وليس منها، وقد أرسل إلى د. مدحت صباح اليوم هذا التصحيح، وقد أخذت سكرتاريتي مؤاخدة شديدة لهذا الخطأ الذي كان على أن أكتشفه حين تعجبت أن يأتي هذا الرأي من د. أميمة، والآن فهمت، فعذرا)

**رابعاً:** رسالة عملية وهامة جاءت عبر الشبكة العربية للعلوم النفسية: تدعو إلى أن "تحول غضبك إلى مشروع"

\*\*\*\*

**أولاً: (تعتة الدستور)**

"متواطئون!!!"

..الهول، الهلع، الأشلاء، الموت، الدمار، البطولات، الاستشهاد، القوة، الخسة، النذالة: كلها معا لا تريد أن تتركني برغم أنني لا أشاهدا رأى العين، الدماء تغمر وعيى حتى أعلى الصدر وتكاد تزحف نحو مداخل أنفاسى، صيحات الأطفال وولولة الأمهات الثكالى يتشكل بها كل صوت يصلنى، ولو كان بوق سيارة، أو أزيز فتح باب قريب، أو شخصخة صوت مصعد قديم.

بلغ بي الحال أن أتصور أن أى إلهاء عن فعل يمكن أن يحول دون الجارى هو فُرجة لا أكثر، الألم الساحق إن لم يدفع إلى فعل قادر يمكن أن ينقلب إلى مازوخية استمنائية قبيحة، كل المساعدات والأصوات والتبرعات والابتهالات والدموع كلها محترمة ومشكورة ورائعة، لكنها في نهاية النهاية قد تكون إجهاضا لفعل أكبر وأهم، فعل يمكن أن نتفجر به إلى ما ينبغي. الخوف أن نكتفى بتلك الأعمال الطيبة والنوايا الحسنة تنفيذا وتسكينا، بمعنى أن تلك الأعمال الطيبة يمكن أن تجهض الغضب فالثورة، وأى إجهاض للغضب فالثورة هو تأجيل آخر، ودليل على أننا لم نتعلم من الهدنة، والتهديئة، والوعود، والكذب، والتدليس طوال واحد وستين سنة. إن أى فعل، أو امتناع عن فعل، يساهم في استمرار هذا الوضع، هو متواطؤ.

من لا يتحمل مسئوليته فهو متواطئ. ما العمل؟

دع جانبا حكومات الكبار الذين لا نكف عن استعطاقهم والاستنفاذ بهم وهم يخذلوننا سرا وعلانية، دع أوباما - الذى فرحنا بفوزه!!- وهو لا يعلق على موقف بلده من قرار مجلس الأمن، ثم وهو يصوت في الكونجرس مع 290 عضوا (مقابل خمسة) على حق إسرائيل في الدفاع عن النفس.. إلخ!!، ودع ساركوزى يصرح أن حماس تصرفت بشكل لا يغتفر، ودع ممثل الاتحاد الأوربي

يصرح أن ما تفعله إسرائيل هو حق دفاعي مشروع، ودع ميركل تنصح وتفتي وتحذر، وهي تحمّل حماس مسئولية الدم الجارى، حتى أرسل لها منتقدها على النت فنجانا ملينا بدم الأطفال، (لم أذكر أن عليك أيضا أن تدع تعبيرات وجوه الملوك والرؤساء والمسئولين العرب، منهم لله، لأنك تدعها من تلقاء نفسك).

ثم إنك لا يمكن إلا أن تحترم جهود النفسين وهم يتطوعون لتخفيف الآلام إثر الصدمات خاصة لدى الأطفال، وأن تعجب ببراعة الجراحين يلحقون أو لا يلحقون ما تطاير من أشلاء، على ألا تتوقف ذاهلا وأنت تسمع أصوات عربات الإسعاف تحترق جدر الأبنين المكتوم والصرخات الملتهبة وهي تعابرننا أننا ما زلنا أحياء،

وأيضا لك أن تجزع كما تشاء من منظر الأمهات محتضن بقايا أطفالهن وهن ينتحبن، و... و... و... و... و... كما أنه من حقا أن تفرح بكل هذا الاحتجاج المطاهر، والتهنئات المحرّضة، ولكن لا تأمل فيها أكثر من قدراتها.

دع كل هذا جانبا دون أن تنساه، ودون أن تتقطع أما وهو لا يترك تدعه، ودون أن تُفزع عن غضبك بتعليق مغيظ أو تفسير دامع، دع كل ذلك واحترم ما لم تستطع أن تشارك فيه إيجابيا، فكل من شارك بأى شيء بأية طريقة، بأى قرش، بأى دواء، هو أفضل ألف مرة من مائة متفرج نعاب.

دع كل ذلك وتعالى نبحت عن مسئوليتك الأكبر أنت، مسئوليتي أنا، في هذه اللحظة تحديدا، "هنا والآن"، نحن الجلوس على مقاعدنا الآن نفسر، وننظر، ونحكم، ونجزع، وقد نكتب شعرا، أو نرسم لوحة، أو ننتظر استلام جائزة!! و قد تضبط نفسك فخورا برقة مشاعرك وأنت تذرف الدموع، وقد ينفجر الغضب منك إلى الهواء الطلق، قبل وبعد وأثناء اشتراكك في مظاهرة احتجاجية رائعة، هيا ننظر سويا بعد أن صنفنا كل من على الساحة إلى "مسئول"، أو "جبان" أو "خائن" أو "صامد" أو "بطل"، أو "شهيد" أو "متواطئ"، ننظر ماذا "نفعل"؟

إذا لم تنتبه، ننتبه، أنتبه، بعد واحد وستين عاما (1948-2009) إلى أن كل ألفاظ "التهدة"، و"الهدنة"، و"فض الاشتباك"، و"وقف إطلاق النار"، و"التسوية المؤقتة"، و"خريطة الطريق"، و"النكسة"، و"السلام"، كل هذه الألفاظ تكشفت عن مناورات مشبوهة قذرة، إذا لم تنتبه إلى ذلك، وأن ارتباطنا بها بهذا العمى، هو مسئول عما يجري، فالأرجح أنك متواطئ دون أن تدري، وأنا مثلك.

انكشفت قواعد اللعبة مثل طلوع الشمس: إما حرب لا تتوقف أبدا أبدا حتى النصر، وإلا فهي الهزيمة الشجاعة بكل ثقلها وخزيبها ومسئولياتها، الهزيمة غير المؤجلة التي لا تحتاج إلى أسماء تدليل جديدة، وهي هى باعثة الألم الخلاق، فالقرارات الصعبة، فتسريح الجيوش النظامية، فتغيير الحكام، ليتحول الشعب المهزوم كله إلى جيش المعركة القادمة فالنصر الحتمي.

إما القبول بهزيمة مثل ألمانيا أو اليابان، أو بنصر مثل فيتنام

وإلا، فالكل متواطئ.

\*\*\*\*

ثانيا: رسالة د. مدحت منصور

حق لا أكون متواطئاً.. أعتز أنى لا أستطيع الاشتراك في المعركة بشكل مباشر ولا حتى الترع بالدم فسنى لا يسمح ولا الانتقال لمستشفيات شمال سيناء القريبة من المصابين لاعتبارات كثيرة.

حق لا أكون متواطئاً.. سأقيم ذاتى بما أجزته وما أنجزه وما هو أنا.

حق لا أكون متواطئاً.. سأسمى أسرتى وإن قدمت التضحية (شينا من التضحية) في سبيل ذلك.

حق لا أكون متواطئاً.. سأقرأ النشرة بمزيد من التركيز والاجتهاد بغرض الاستنارة.

حق لا أكون متواطئاً.. سأحافظ أكثر على الصلاة التى هى بحق وحقيق، رغم كراهيتى للالتزام.

حق لا أكون متواطئاً.. سأعطى وقتا أكثر لأولادى آخذا على عاتقى أن يعرفوا قيمة الوطن وقيم أخرى منها الإنسان.

حق لا أكون متواطئاً.. سأعمل على تنشيط معلوماتى في الطب.

حق لا أكون متواطئاً.. سأعلم كل من حولى كل ما تعلمته مستعملا الإبداع فى ذلك، وسأواصل الإبداع فى الأدب وربنا معى.

حق لا أكون متواطئاً.. سأعمل على تلقى المعرفة بعد العلم وربما معه وأطلب من الله أن يؤازرنى.

حق لا أكون متواطئاً.. سأتوحد أكثر وأكثر مع الأربعة فنصبح خمسة الكل فى واحد حتى نصل معا

إلى الله وربما استطاع كل منا أن يتوحد مع آخرين لنصبح كثيرا.

حق لا أكون متواطئاً.. سأحافظ على صحتى لأن أمامى الكثير لأوصله لغيرى.

حق لا أكون متواطئاً.. لن أوصل مسيجات أو ميلات ولن أقرأ الفاتحة أو سورة الفتح إلا بعد انتهاء الحرب حتى لا أوهم نفسى أنى أذيت واجبى أو أوهم غيرى أنه عمل ما عليه.

\*\*\*\*

### ثالثا: رسالة: د. أميمة رفعت

لأطفال غزة: (أستأذنك في التواصل مع ضيوف النشرة من خلال بريدكم )

زوجي أستاذ باثولوجيا إكلينيكية بجامعة الإسكندرية، وقد إتفق هو وزملاؤه على جمع قدر من المال لشراء كيماويات معاملة يبعثونها إلى مستشفيات غزة عن طريق الهلال الأحمر وقد اشتركت معهم بما تيسر لي، واشترك إبني وإبنتي ببعض الجنيهات من مصروفهم الشهري، أعرض هذه التجربة على من لا يعرف كيف يساعد في هذه الحنة فربما ألهمته بفكرة أخرى.

جاءت لي فكرة الآن أثناء الكتابة: كلنا نملك في بيوتنا أدوية تظل حبيسة الأدرج حتى ينتهي تاريخ صلاحيتها، يمكننا جمعها، ووضعها في أكياس صغيرة ، يكتب على كل كيس نوع الدواء (مضاد حيوى، خافض للحرارة، مضاد للإكتئاب .. إلخ ) حتى لو كان الكيس لا يحتوى سوى على علبه واحدة، فهذا يسهل على الهلال الأحمر والمستشفى التي تستقبل التبرعات الفرز والتصنيف، إذ بالتأكد ليس لديهم الوقت لهذا . يمكن لك أن تعلن الفكرة على زملائك في العمل، أو على جيرانك في السكن كل ساكن يبلغ جاره، أو يعلنها مدير مدرسة إبنك في ميكروفون الإذاعة المدرسية فيبلغ كل طفل ولي أمره. هذه فكرة سهلة ولن تكلف أحدا شيئا. وأنا متأكدة من أن الجميع سيستجيب.

المصريون لديهم هامة ونخوة فطريتان، بل لديهم ما هو أعمق...لديهم\ "شئ ما \" أتذكرون؟ أرجو أن تلهمكم هذه الأفكار بأفكار أخرى... ولكن لا تطلوا التفكير...بل إعملوا الآن .

\*\*\*\*

### رابعا: رسالة عملية وهامة جاءتني عبر الشبكة العربية للعلوم النفسية

#### حوّل غضبك إلى مشروع

هذا المشروع قائم بالدرجة الأولى على المبادرات "الفردية والشبابية" ومبادرات "مؤسسات المجتمع المدني" لنصرة غزة عمليا، وهو موجه للأشخاص والجهات التي لا تنتظر الآخرين ليعملوا .

هذه أفكار أولية، يمكن لكل فرد تطويرها وتطبيقها والزيادة عليها بما يتلائم مع الإمكانيات المتوفرة كما يفضل ترجمتها لأكثر عدد من اللغات العالمية.

يهدف المشروع لتطوير أى مبادرة - مهما كانت صغيرة - ومن أى جهة في العالم للإجابة العملية على السؤالين التاليين:

- 1- ماذا أفعل حتى أوقف الاعتداء على غزة؟
- 2- ماذا أحضر لغزة بعد انتهاء الاعتداء وإعلان غزة مدينة للانتصار للإنسان؟

### المشروع الأول:

- سأساهم في بث الأفكار والمفاهيم والمصطلحات الإيجابية في وجه بعض مفاهيم غير الإيجابية مثل بث:
- 1- غزة صمدت وانتصرت مهما كانت النتائج على الأرض، وهي بحاجة للعناية أكثر من حاجتها للعواطف.
  - 2- غزة مدينة انتصار القيم الإسلامية والإنسانية على قيم الدمار والوحشية.
  - 3- غزة رأس الرمح في مشروع الأمة في المقاومة والانتصار، هي قدمت كل ما تستطيع. ماذا سأقدم أنا؟

### المشروع الثاني:

- سأساهم في إطلاق واحدة من هذه المبادرات، وفكر في تطبيق غيرها لأكمال انتصار غزة:
- 1- سبأدار لتشكل مجموعة الخاصة، أو سأنضم لأي مجموعة شبابية أو هيئة مهنية قائمة عاملة وفق تخصص واهتمامي.
  - 2- سبدأ مشروعى الشخصى مهما كان صغيراً، وأستطيع أن أقدم مشاريع مثل:
    - سأطلق موقعى الإلكتروني الخاص بغزة، أو سأحول موقعى الخاص الموجود حالياً ليعبر عن غزة، ضمن مشروع "مائة ألف موقع لغزة" منها:
    - § موقع صورة إسرائيل الوحشية
    - § موقع تحدى غزة للحصار
    - § موقع صور شهداء غزة الأطفال (صورهم قبل استشهادهم وبعد استشهادهم)
    - § موقع سيدات غزة الصابرات
    - § موقع مقاومى غزة
    - § موقع صور دمار المؤسسات الطبية
    - § موقع صور دمار المؤسسات التعليمية
    - § موقع طائرة إف 16 وطفل غزة أيهما أقوى؟؟
    - سأطلق حملة بوسترات وصور انتصر لغزة ضمن "حملة مليون بوستر لغزة"
    - سأساهم في أى حملة تدعو لمقاطعة إسرائيل سياسياً

واقصديا وأكاديميا على مستوى العالم، من خلال إطلاق مشاريع مثل:

○ مشروع "مخاطبة ألف جمعة أوروبية وأمريكية" عبر مواقعها الإلكترونية لتوضيح صورة إسرائيل وادعوها لمقاطعة إسرائيل.

○ مشروع "صورة مأساة غزة لـ 5000 آلاف مؤسسة ومنظمة دولية" مهتمة بالأطفال ومحقوق الإنسان في العالم.

- سأطلق "الحملة العالمية لرفع الحصار عن غزة".

- سأبدأ حملتي الخاصة لجمع تبرعات مهما كانت بسيطة لغزة

- سأنظم حملة خاصة لمخاطبة المواقع الرسمية لمسئول منظمة دولية أحدها أنا مثل الأمين العام للأمم المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي، أو سأختار رئيس أو مسئول مؤثر في دولتي لدعوته لنصرة غزة.

- مشروع خيمة الاعتصام.

- مشروع المجتمع المدني لـ "محاكمة مجرمي الحرب" من القادة العسكريين والسياسيين الإسرائيليين.

- سأطلق مشروعى لـ "التوأمة مع مؤسسة في غزة" مثل:

§ توأمة مدينتي مع مدينة في غزة

§ توأمة جامعتي مع جامعة في غزة

§ توأمة مستشفى مع مستشفى في غزة

- سأطلق مشروعى لـ "التبنى الكامل أو الجزئى" (تقاسم المصروف اليومي)، مثل:

§ عائلتي تبني عائلة في غزة مثل (الاتفاق مع أسرة في غزة لفتح حساب بنكي بين العائلات).

§ طفلى سيأخى طفلا في غزة

§ حملة الاتصالات الهاتفية مع سكان غزة لرفع معنوياتهم

- "مشروع نصره غزة" من مفكرى ومثقفى وفنانى الأمة

### المشروع الثالث:

سأساهم في إطلاق "أكبر مشروع إعمار وإعادة بناء" في المنطقة تحت شعار "غزة المدينة الأمل"، وهو مشروع بناء غزة وإزالة آثار العدوان خلال 6 أشهر (يمكن تأسيس مؤسسة إعمار غزة لتنسيق الحملة وإدارتها)

§ سأتكفل ببناء منزل مشابه لمنزل في غزة (حملة العشرة آلاف منزل).

§ سأتكفل ببناء مصنع جديد في غزة (حملة المائة مصنع)

- § سأفتح متجراً مشابهاً لمتجرى فى غزة (حملة الألف متجر)
- § سأتكفل ببناء جامعة فى غزة (حملة الجامعات الخمس)
- § سأتكفل ببناء مدرسة فى غزة ( حملة مدرستى فى غزة/حملة المائة مدرسة)
- § سأتكفل ببناء مكتبة فى غزة (حملة لبناء عشر مكتبات فى غزة)
- § سأبنى مسجداً مع خدمات متكاملة فى غزة (حملة بناء 20 مسجداً مع خدماتها)
- § حملة رصف شوارع غزة

#### المشروع الرابع:

- § سأساهم فى "حملة الإغاثة العاجلة لغزة":
- § حملة الطرد الغذائى (نصف مليون طرد)
- § حملة ملابس أطفال غزة (كسوة مائة ألف طفل)
- § حملة مدافى غزة (عشرة آلاف مدفأة)

انتهى